المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة

أ. د. حامد طاهر *

يُعتبر موضوع المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة من أهم الموضوعات التى تشغل أذهان الباحثين المعاصرين فى علم المنهج **Méthodologie** بصفة خاصة، والفلسفة المعاصرة بصفة عامة(١). ومن الملاحظ أن بحث مثل هذا الموضوع مازال نادراً للغاية، إنْ لم يكن غائباً تماماً من اللغة العربية، وذلك على الرغم من الحاجة الشديدة إلى بيانه وتأصيله فى أذهان طلاب العلم، والباحثين على حد سواء، نظراً لما له من أهمية بالغة فى تحديد نظرتهم الصحيحة إلى الأمور، وتوجيه أحكامهم الصائبة عليها(٢).

وهدفنا من هذا البحث أن نحاول بيان مفهوم كل من المشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة فى لغة مبسطة، تعتمد إلى حد كبير على أمثلة مستمدة من واقع بيئتنا العربية والإسلامية.

وتتمثل البداية فى أننا عندما نفتح كتاباً، أو نقرأ بحثاً يعالج مشكلة ما، يكون من حقنا أن نتساءل: هل حقيقة هذه المشكلة تفرض نفسها على واقعنا، وتمثل لنا عقبة فى الفكر والسلوك، أم أن المؤلف يتسلّى بعرضها، أو يفتعل أهميتها، أو يحاول أن يشغلنا بشىء لا وجود له؟

ولا شك أن هذا التساؤل البسيط، والأساسى فى نفس الوقت حول نوعية المشكلة المطروحة يدفعنا إلى ضرورة التفكير فى وضع نوع من تصنيف المشكلات، وبالتالى إعطاء كل منها قدراً من الأهمية، قد يزيد أو ينقص تبعاً لمدى خطورتها. ومن المعروف أن هناك مشكلات مهمة،

---

* أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

١ـ **Méthodologie vers une science de l'action, par groupe d'étude du C.N.O.F. Pàris 1964.**

٢ـ سبق أن كتبنا عن ذلك فصلا بعنوان «المشكلات الحقيقية والزائفة فى الفلسفة الإسلامية». انظر كتابنا: مدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية، القاهرة ١٩٨٥. وانظر أيضا مقالنا «خمس مشكلات حقيقية أمام الفلسفة الإسلامية فى العصر الحديث» دراسات عربية وإسلامية جـ ٩ سنة ١٩٨٩

وأخرى أكثر أهمية ، ومشكلات ملحة وأخرى أكثر إلحاحاً ، وأخيراً مشكلات حقيقية وأخرى زائفة ..

والمشكلة الحقيقية ــ فى رأينا ــ هى التى تمثّل عقبة تعوق (الفعل الإنسانى) أو (الفكر الإنسانى) عن الاستمرار فى تقدمه الطبيعى . فالفعل الإنسانى بدون عوائق يمكنه أن يمد سيطرته على الطبيعة ، ويحسن الاستفادة منها إلى أقصى ما يستطيع ، والفكر الإنسانى بدون عوائق بإمكانه أن يُحدث الانسجام المطلوب للإنسان مع الطبيعة ، ومع الناس ، ومع الله .

لكن مايمنع كلاً من الفعل الإنسانى والفكر الإنسانى عن مواصلة تقدّمه الطبيعى نحوالسيطرة ، والاستفادة ، والانسجام ــ هو مايمكن أن نطلق عليه عقبات ، أو عوائق ، أو مشكلات حقيقية .

وقد تكون المشكلة الحقيقية واضحة فى معظم الأحيان ، ولكنها قد تختفى أحيانا فلا تبدو منها إلا أجزاء بسيطة ، تُوقع الناس فى عدم تقديرها التقدير الصحيح . لذلك فإن المشكلة الحقيقية تحتاج إلى اكتشاف وتعرّف وتحديد . وهنا قد يقع الإنسان فى أخطاء الحسّ ، فيرى مشكلةً : ما ليس كذلك . وكما أن الحسّ قد ينخدع أحياناً فيرى الشىء على غير حقيقته ، فإن العقل قد ينخدع أيضا فيصدر أحكاماً لاتتفق مع قوانين الفكر من ناحية ، أو لا تنطبق على حقائقها فى عالم الأشياء من ناحية أخرى .

وليس من المستحيل أن نجد لهذا الخداع أو الانخداع أسباباً محدودة ، ترتبط بكل حالة على حدة . فنحن ــ مثلا ــ عندما نكتشف خيانة صديق ، أو زندقة شخص كنا نعتبره صالحاً ، لايكون هذا الاكتشاف ــ فى واقع الأمر ــ الا تصحيحاً لأخطائنا نحن . ومن المعروف أننا لا نتنبّه كثيراً أو جيداً لأحاسيسنا التى نبنى عليها أحكامنا . وبمرور الوقت يختبىء الخطأ الأول تحت أكوام متراكمة من الاعتبارات ، والتجاوزات ، والمسامحات أيضا ، حتى تأتى اللحظة الحاسمة ، فنفاجأ بالحدث الرهيب !

إن « الصديق الخائن » هو فى حقيقة الأمر شخص خائن ، وخطؤنا أننا اعتبرناه صديقا . و « الزنديق الصالح » ليس إلا شخصاً نجح فى إقناعنا بعكس حقيقته . وفى كلا الحالين ، يظل الفحصُ الهادىء ، واستخلاصُ النتائج من التجارب المكتسبة ، وعدم إغفال التفاصيل الدقيقة ذات الدلالات الهامة ــ عناصر أساسية كان من الممكن أن نتسلح بها حتى ننجو من فخ المفاجأة المذهلة .

المشكلة الحقيقية إذن عقبة . والعقبة ــ كما هو واضح ــ تظهر فى طريق السائر فتمنعه من المسير أو تُصعّب عليه المرور . وكما أن هناك مشكلات محسوسة تبدأ من مصادفة حجر كبير فى الطريق ، أو حفرة أمام السيارة ، فإن هناك مشكلات عميقة مثل كيفية التأقلم مع المجتمع ، أو السلوك الفاشل فى الحياة ، كما أن هناك مشكلات أكثر عمقاً مثل كيفية الوصول إلى اليقين الكامل فى مجال الإيمان ، أو الحصول على طمأنينة النفس وسط مطالب الحياة المتلاحقة .

لكن مَنْ الذين يحكم على مشكلة ما بأنها حقيقية ؟ هل هو صاحب المشكلة الذى يعانى منها ، أم الباحث المتخصص فى بحثها ومحاولة إيجاد حلٍّ لها ، أم الفيلسوف الذى يتابع المنظر كله من بُعْدٍ ؟

الواقع أن هؤلاء الثلاثة شركاء فى ذلك . فصاحب المشكلة هو الذى تنعكس عليه الآثار المباشرة للمشكلة . ومظاهر هذه الآثار هى مجال عمل الباحث المتخصص . أما الفيلسوف فهو الذى يمكنه بيان مدى أهمية هذه المشكلة بالنسبة لغيرها ، كما يمكنه تقدير آثارها غير المباشرة ، وقيمة الحلول المقترحة لها .

غير أن العصر الحديث ، الذى يمكن أن نطلق عليه بحق عصر الاعلام ، قد أصبح المجتمع فيه خاضعا لسيل وافر من المعلومات والإعلانات التى كان من المأمول أن تكون هادية له فى التعرف على مشكلاته الحقيقية ، لكنها أصبحت ــ لكثرتها ، وشدة تشويشها ــ عبئاً ثقيلا عليه (٣) .

فكثيرا ما تقع (حادثةٌ) فتتلقّفها وسائل الإعلام المختلفة (الصحافة ، الإذاعة ، التليفزيون ومشتقاتها) لتصنع منها (ظاهرة) عامة ، ينشغل بها الرأى العام ، لفترة تطول أو تقصر ، و يساهم فيها المتخصصون بآرائهم ، وتجرى حولها استطلاعات الرأى ، وتثور بصددها المناقشات ، وتعقد لها الندوات .. وواقع الحال أن تلك الحادثة لا تعدو أن تكون مجرد شىء عابر ، لا يؤثر فى مسيرة المجتمع ، ولا يعوق حركته .

ولعلنا نذكر منذ عدة سنوات تلك الحادثة الشنيعة التى أقدم فيها طالب مصرى على قتل والديه . وكل ما سبقت الإشارة إليه فى الفقرة السابقة قد جرى بالنسبة لهذه الحادثة . وقد اشتغلت وسائل الإعلام حينئذ بعظم الجرم ، وراح المحلّلون النفسيون ، وعلماء الاجتماع ، وعلماء الدين ، ورجال الشرطة والقضاء يُدلون بآرائهم المختلفة حول هذه (الظاهرة) ودوافعها القريبة والبعيدة ، وآثارها على الفرد والمجتمع ، و يقترحون الحلول المختلفة لكيفية تجنّبها .

و بينما كنت أتابع مثل غيرى من الناس أخبار هذه الحادثة ، استوقفتنى إحصائية وردتْ فى خبر هامشى تماما ، تؤكد أن عدد قتلى السكك الحديدية يبلغ أسبوعيا ثلاثين شخصا . وهالنى الرقم ، فأعدت قراءة الخبر ، وتأمّلتُ :

أليستْ هذه بالفعل مشكلة حقيقية ، لأنها تتعلق بعدد من الأحياء يتكرر سقوطهم أسبوعيا ، وتمثل خللاً فى نظام ينبغى تداركه ؟ أليس من الأوْلى أن تركز وسائل الإعلام ــ وهى مُنبِّهات جيدة ــ على تلك (المشكلة) أكثر من تركيزها على مشكلة الطالب ــ التى لا شك فى شناعتها هى الأخرى ؟

---

٣ ــ انظر د. جيهان رشتى ، الأسس العلمية لنظريات الإعلام . ص ٤١١ وما بعدها دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٧٨

إن هذين المثالين يبيّنان بوضوح مانقصد إليه من التميز بين المشكلة الحقيقية والمشكلة الزائفة ، ومن أن الاعلام المعاصر قد يتدخل فى العصر الحاضر لتشويش الرؤية والمقاييس معا . وسوف يقودنا هذا الوضع إلى ضرورة التأكيد على دور الفيلسوف فى المجتمع الحديث ، حيث ينبغى عليه أن يصمد أمام حملات الإعلام الصاخبة ، لكى يتبين — بهدوء — حقيقة الأمر فى المسألة . فإنه لاأمل فى جمهور خاضع تماماً لوسائل الإعلام الحديثة ، وكذلك فى متخصصين لايرون أبعد من نطاق اهتمامهم .. إذنْ لم يبقَ إلا الفيلسوف القادر على الرؤية الشاملة ، والعميقة ، لكى يدق ناقوس الخطر ، و ينبه هؤلاء وأولئك إلى مايُحدق بهم .

وقد تستغرق المشكلةُ الزائفة فترة أطول ، وتحتل من اهتمام الناس ، وحتى المتخصصين أحيانا مساحة أكبر مما قد تحظى به مشكلة حقيقية . وهنا يكمن خطر آخر ، يتمثل فى اعتبار طول المدة التى قد تستغرقها مشكلة زائفة دليلاً على اعتبارها مشكلة حقيقية (٤) .

وفى تاريخنا الفكرى القديم مثال واضح على ذلك : فقد شاع فى عهد الدولة العباسية القولُ بخلق القرآن ، على اعتبار أن هذا القول جزء من مشكلة الصفات الإلهية التى اختلفت المذاهب الكلامية حينئذ حولها . وكان من المتوقع أن يظل هذا القول ، ومايقابله .. فى إطار المناقشات النظرية بين العلماء والمتخصصين ، ولا يتعدى حلقات الدرس والمناظرة . لكننا وجدناه يخرج من أروقة المساجد إلى ديوان الخلافة ، ويمتد إلى أجهزة الشرطة ، و يصبح أحد مشاغل الناس الرئيسية فى مطلع القرن الثالث الهجرى . فيستمر خلال حكم المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) ، والمعتصم (٢١٨ — ٢٢٧) ثم لا يلبث أن يهدأ فى عهد الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢) ، و يتحول إلى النقيض تماماً فى عهد المتوكل (٢٣٢ — ٢٤٧) .

والمتأمل فى حقيقة هذه المشكلة (مشكلة خلق القرآن) يجد أنها نموذج واضح للمشكلة الزائفة التى شغلت الرأى العام ، واستحوذت على اهتمام المتخصصين دون أن يكون لها سند واقعى . والواقعية التى نقصدها هنا تتمثل فى إحساس الناس بهذه المشكلة كعقبة تعوق بالفعل مسيرة فكرهم ، أو تحد من انطلاقه .

وتطفو المشكلة الزائفة على السطح نتيجة لعوامل كثيرة ، و يتدخل فى دفعها إلى بؤرة الاهتمام أفراد أو جماعات ذات مصالح خاصة ، يكون من همها (تمرير) هذه المصالح تحت ستار من دخان تلك المشكلات . وهنا يقفز إلى الذهن التعبير الشائع « ذراًّ للرماد فى العيون » ليُجسّد تماماً تلك الحالة التى نقصدها .

---

٤ — انظر:

ROUGIER, Les Pseudo- Problèmes, in «La Méthode dans Les Sciences Modernes » P. 287. Paris N.O.S.

إن الشخص الذى يسعى لتحقيق غرضه الخاص يحتاج فى الغالب إلى موافقة الآخرين وإلا لَـمَا تحقق غرضُه . ولما كان مثل هذا الشخص لايحظى بتلك الموافقة فى كل الأحوال ، فإنه يلجأ إلى استخدام الحيلة ، وهى هنا عبارة عن شَغْل الآخرين بأمر مختلف تماماً عما يرمى إليه (مثال اشعال حريق لإخفاء سرقة !) .

والمشكلة الزائفة تشوش نظام العقل ، وتعطل حركة الفكر فيه . فهى أولاً تحول اهتمامه إلى مجال غير حقيقى ، وثانيا تستهلك طاقته فى البحث عن حل لعقدة لا وجود لها ، ثم هى أخيراً تضطره إلى استخدام مناهج غير عقلية أو غير تجريبية . وهذه المناهج تعتمد فى الغالب على الخيال بدل الملاحظة الدقيقة ، وتقوم على الأوهام والشائعات بدلاً من استقصاء الظواهر، وتسجيل نقاط الاتفاق والاختلاف بينها .

وفى كل مجال من مجالات الحياة والفكر ، يمكننا أن نلتقى بأمثال هذه المشكلات الزائفة . ولا شك فى أن تقدم العلم كان رهناً بموقفه الصارم منها ، ولذلك جاء انتشار المنهج التجريبى على حساب شيوع المشكلات الزائفة فى المجتمعات الغربية . فقد أخرج هذا المنهج الباحثين من تأملاتهم الذاتية حول الأشياء إلى ضرورة مواجهتها بالملاحظات المتعددة ، وَقَضى على عشوائية الأحكام الفردية بالاحتكام إلى التجربة الواقعية ، لهذا رأينا العلوم التجريبية التى استخدمت هذا المنهج الحاسم تتقدم باستمرار ، وذلك بعد أن تأكدتْ مكانتها بمجموعة متراكمة من الحقائق والمسلّمات(٥) .

أما العلوم الإنسانية ، والتى لا يصلح المنهج التجريبى لمعظم فروعها ، فمازالت متعثرة . وأحد الأسباب الرئيسية فى ذلك أنها مازالت تحتوى على الكثير من المشكلات الزائفة التى تبدّد جهود الدارسين فيها ، وتحوّل اهتمامهم عن بحث المسائل الحقيقية إلى دراسة مسائل ومشكلات وهمية أو زائفة .

نجد الباحث فى هذه العلوم يختار موضوع بحثه مشكلة لا تمثّل عقبة حقيقية ، ثم يأخذ فى بناء هيكل عظمى حولها ، يتكوّن عادة من تجميع آراء متضاربة ، ومناقشات جدلية ، تزيد من صعوبتها فى ذهنه . وبهذا يصدق عليه القول بأنه « هو الذى يصنع عقدته بنفسه » وبالتالى فإنه لا يصل إلى نتيجة محددة ، يمكنها أن تُضيف جديداً أو يعتمد عليها فيما بعد ، بل على العكس ، كثيراً مايُوهم غيره من الباحثين أن يواصلوا السير على نفس الدرب الذى سلكه(٦) .

---

٥ G. Bénézé, La Méthode expérimentale p.53. Paris 1954.

٦ــ هنالك نكتة مصرية تعبر ــ تماما ــ عن هذا الموقف . وسأعرضها هنا باللغة الفصحى مع أن تحويلها من لهجتها العامية يفقدها الكثير من الظلال : يقال إن رجلاً أصابه التعب فأسند رأسه على باب دكان مغلق ، ومر به شخص فتوقع أنه ينتظر فتح الدكان ليشترى شيئاً منها ، فاصطف وراءه ، وكلما مر شخص جال به نفس الخاطر ، فوقف ، حتى طال الطابور . وفى

ولكل عصر مشكلاته الخاصة به، والنابعة من ظروفه. صحيح أن بعض المشكلات تضرب بجذورها فى الماضى، وربما فى الماضى السحيق، ولكنها عندما تتفجر فى عصر ما، فإنها تستحق أن تنسب إلى ذلك العصر، و يصبح على أهله أن يقوموا بتجديدها، ومحاولة البحث عن حلول لها.

وليس من العسير وضع قائمة بالمشكلات المثارة فى كل عصر، أو على الأقل بأهم هذه المشكلات. وهنا مقياس يمكن أن نستعين به فى هذا المجال. وهو أن «مايصدُق على الحاضر يمكن أن يصدَق على الماضى». ومعنى ذلك أننا إذا تمكنا من تصنيف مشكلات العصر الحاضر، أمكننا أن نفهم — على أساس هذا التصنيف — مشكلات العصور السابقة ... و يلاحظ أنه على الرغم من أهمية مثل هذا التصنيف، إلا أنه لم يتم حتى الآن — على النحو الفلسفى الذى نقصده.

ولنضرب لذلك مثالاً واضحا: فالقرية المصرية كانت لها فى الماضى مشكلات خاصة. لكننا لانستطيع أن نقدر حجمها الحقيقى، ولا خطورتها، ولا تأثيرها على الناس، لسبب بسيط هو أننا لم نرها، ولم نحسّ بها، وكل مانعرفه إنما تلقيناه عن طريق السماع (أو القراءة). أما مشكلاتها الحاضرة فهى أمامنا ماثلة وملموسة. فإذا استطعنا أن نحددها أولاً، ثم نصنّفها تبعاً لأهميتها أو خطورتها ثانياً. أمكننا بعد ذلك أن (نتصور) ما كانت عليه المشكلات السابقة فى نفس القرية. وفى رأينا أن هذا المبدأ ينطبق على المدينة، والمجتمع، والعصر، و يصلح بالتالى أساساً مهما فى مجال تفسير التاريخ الإسلامى، الذى مازالت بعض حلقاته مفقودة.

لكن هل توجد مقاييس معينة يمكن أن يستعان بها فى اعتبار مشكلة ما أكثر أهمية من غيرها؟ نعم فما تتطلبه حاجات الإنسان الأساسية يأتى فى المقدمة. وهو يتمثل — على الرغم من اختلاف الأسماء والأشكال والصيغ — فى ثلاثة أشياء، هى المطعم، والملبس، والمسكن. ثم يأتى بعد ذلك كل مايرتبط بهذه الحاجات الثلاث من ضرورات تتفاوت حاجةُ الإنسان إليها قوة وضعفاً، حتى تصل فى النهاية إلى مستوى الكماليات.

وهنا تبرز، مرة أخرى، المشكلات الزائفة التى يتم فى إطارها تصور الكماليات على أنها من الضروريات.

= النهاية جاء شخص ليسأل الأخير: لم وقوف هذا الطابور؟ فأجابه: لا أعرف بالضبط، ولكن يبدو أنه لشىء مهم! فذهب إلى الشخص الأول وسأله: لماذا أنت واقف هكذا؟ فقال: لقد تعبت فأسندت رأسى. فقال له: عليك أن تنصرف، فإن هؤلاء جميعا يقفون وراءك على أمل أنك تنتظر شراء شىء مهم! فنظر الرجل خلفه، وعندما وجد الطابور طويلا قال للسائل: هل تريد أن أترك مكانى فى الطابور؟!

ومن أشد مايحوّل اهتمام الإنسان من الإحساس بالمشكلة الحقيقية إلى المشكلة الزائفة: الميل إلى التظاهر. والتظاهر يعنى ببساطة إظهار ماليس حقيقيا، وإخفاء أو تجاهل ما هو حقيقى. والتظاهر أحد العيوب الرئيسية المتفشية فى مجتمعات العالم الثالث. وهو يوجد لدى العامة كما يوجد لدى المتخصصين. فمثلاً على الرغم من انتشار الفقر بين الغالبية العظمى من هذه المجتمعات، إلا أننا نجدها تنفق ببذخ على بعض المناسبات الإجتماعية إلى حد يُد هش بالفعل أهل البلاد المتقدمة والغنية. وحسبنا أن نشير هنا إلى ماينفقه الناس على الأعراس وأيضا على المآتم فى بلادنا، ومقدار مايتكبّدونه من مغارم فى مثل هذه المناسبات.

إن التفاخر الاجتماعى الذى يستنفد أموالاً طائلة فى بلدان العالم الثالث لايقوم فى الواقع على أسس حقيقية. ومن المؤكد أنه مرتبط بجهل متراكم، وتقاليد سيئة، ومع ذلك فإنها مازالت مسيطرة، ثم هو فى النهاية: تعبير غير منضبط عن مشاعر زائفة.

فى الامثال العربية القديمة مثلٌ جيد يقول (ليست النائحة كالثكلى) وأصل هذا المثل أن أهل الميت كانوا يستأجرون امرأة متخصصة فى العويل على الميت. وهذا منتهى الخداع فى التعبير المستأجر عن الحزن. ومع ذلك فإن المثل يؤكد المعنى الذى نريد الوصول إليه: فهو يفرق بوضوح بين حزن الثكلى الحقيقى على فقد الابن أو البنت، وبين الحزن الزائف لتلك النائحة المستأجرة!

وقد تكون علاقة المشكلة الزائفة بالمشكلة الحقيقية مثل علاقة النسخة المزيفة لتحفة فنية أصيلة أو قطعة نقود حقيقية. فهى قد تشبهها إلى حد كبير من حيث الشكل، وتبدو ــ فى الظاهر ــ أنها عقبة حقيقية، تسترعى الاهتمام، وتستحق البحث عن حل، ولكنها فى واقع الأمر ليست كذلك. والعبرة هنا بالنتائج فالمشكلة الزائفة قد تبدأ وتختفى دون أن يحسّ الناس إزاءها بالقلق الذى ينتابهم من إحساسهم بالمشكلة الحقيقية.

وخطورة المشكلة الحقيقية أنها لاتتعمقُ فقط رأسياً، وإنما تمتد كذلك أفقيا. وهى فى أثناء امتدادها تشتبك أو تتداخل مع غيرها من المشكلات الأخرى، فتزداد الأمور تعقيدا، وتصبح الحالة حينئذ أشبه بلفّة الخيط التى تختلط خيوطها، وتلتوى، وتنعقد، ويصير من الصعب تتبّع خيط واحد منها. وأوضح مثال على ذلك مانراه من تشابكٍ بين مشكلات مثل: زيادة السكان، والإسكان، والإنتاج، والتعليم، والبطالة، والمخدرات. فهذه مشكلات حقيقية. وكل منها متصل ــ إلى حد كبير ــ بالمشكلات الأخرى، وليس من السهل ــ كما يتصور معظم الناس ــ أن نقوم بحل كل مشكلة منها على حدة. وإنما البداية تمكن فى وضع أيدينا على المشكلة ــ الأم، وتحديد ماتفرع عنها أو اتصل بها من مشكلات: متى كان ذلك؟ وكيف تطور؟ ونقاط الالتقاء والتشابك؟ كل ذلك قبل أن نقول: ما هو الحل؟

ولا شك فى أن حل المشكلة الحقيقية أمر صعب . فهى لاتنتهى بقرار يصدره فرد أو تتخذه حكومة . بل إنه يتم عن طريق إعداد جماعى شامل وطويل ، يشترك فيه أصحاب المشكلة أنفسهم مع القائمين على حلها . وأول مايتطلبه هذا الإعداد هو الإحساس بحدة المشكلة بعد المعاناة منها ، والإرادة الصادقة فى ضرورة التغلب عليها . وبالطبع فإن هذا الإحساس وتلك الإرادة لايتكونان بين يوم وليلة . إنها يستلزمان وقتا ، وتمهيدا ، وتوعية مستمرة ، فضلاً عن إخضاع المشكلة للملاحظة المستمرة ، وتسجيل كافة المعلومات عنها .

أما المشكلة الزائفة فحلّها ، أو القضاء عليها ، أسهل بكثير والسبب أنها ــ فى العصر الحاضر ــ أصبحت مرتبطة بوسائل الإعلام كما سبقت الإشارة إلى ذلك . ويكفى أن يصدر قرار بوقف الحديث عنها حتى تختفى من أذهان الناس . وإنما يحدث ذلك لأنها لم تكن ــ فى واقع الأمر ــ عائقاً حقيقياً لهم ، وإنما كانت « مَشْغَلَةً » أضاعوا فيها وقتهم ، وبدّدوا حولها أفكارهم لفترة من الوقت .

وتقوم (اللغة) بدور هام فى تحديد المشكلات ، أو بالأحرى ، فى مرحلة طرحها . فالمشكلة التى يتم طرحها جيداً يمكنها أن توجّه العقل البشرى بسهولة إلى امكانية حلها ، فى حين أن المشكلة التى يساء عرضها ، وخاصة عن طريق اللغة ، تتطلب مزيداً من الجهد ، بل إنها قد تضلّل المتخصصين أنفسهم ، فيضلّون فى تعاريجها (٧) .

واللغة التى نقصدها هى اللغة التى تتميز بخاصتيْن أساسيتيْن هما : الدقة ، والوضوح . وفى سبيل ذلك يمكنها أن تستعين بالأرقام ، والرسم البيانى ، والخرائط .. ومن المعروف أن هذه الوسائل تنزع إلى الاختصار ، لأن الإطناب هو غالباً طريق الزلل . وفيه يضل الفكر ، وتتميّع المشكلات . بل إن الأمور الواضحة قد تتعقّد أحيانا وتغمض بكثرة الحديث حولها . وهنا لابد أن نستفيد من نصيحة المنهج التجريبى الذى يوصى العلماء بالاقتصاد فى استخدام اللغة ، بحيث يعبر كل لفظ عن معنى ، مع تجنب الغموض ، والبعد عن الحشو والتكرار .

ويمكن القول بأن المشكلات الزائفة ترتبط غالباً ــ ويمكن أن نقول : دائما ــ بلغة فضفاضة ، تنزع إلى الاستطراد ، وتتسم بالغموض ، وتكثر من استخدام الألفاظ فى غير دلالاتها الحقيقية .

٧ــ يقول بواللو : « لايُتصوَّر جيداً إلا ماقيل بوضوح » ويقول كونديال : « ليس العلم الجيد إلا لغة بُنِيتْ جيدا » وانظر ترجمتنا المقال جيرار بيتيو « المشكلات المعاصرة للغة العلمية » بمجلة مجمع اللغة العربية ــ الجزء ٥٢ ، نوفمبر ١٩٨٣ .

والمثال على ذلك نجده صارخاً لدى أولئك الذين يكثرون الحديث عن (أزمة الثقافة ، والتفاعل الثقافى ، والغزو الثقافى ، والمستقبل الثقافى .. الخ) والدليل على ذلك أننا لو طلبنا من أحدهم أن يحدد لنا المشكلة فى كلمات ، أو يفصح عن رأيه فى عبارات لما استطاع . والسبب فى رأينا بسيط للغاية . وهو أنه لا يتحدث عن مشكلة حقيقية ، تمثل عقبة فى سبيل الفكر أو الفعل الإنسانى .